المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 16-04-2006 العـــدد : 2025
الصفحـات : 24 المسلسل : 197

ما نحتاجه اليوم ليس إصلاحا بل ثورة في التعليم

ميسون الدخيل*

عندما نستوعب أن مستقبل بلدنا يشكل داخل أروقة المدارس وقاعات الدراسة سيتجلى لنا حينها مدى حجم الأزمة التي تواجه نظام التربية والتعليم لدينا... وبالتالي تصبح القضية الرئيسة التي يجب أن نجند لها كل ما لدينا من موارد مالية ودراسات وأبحاث وخبرات ومختصين ليس فقط على المستوى المحلي بل العالمي أيضا فلا نترك نظاما تعليميا ناجحا دون دراسته للتعرف على مكونات نجاحه وإمكانية نقل وتطويع بعض هذه المكونات لتتلاءم مع بيئتنا وخلفيتنا الدينية... والأمثلة كثيرة فهنالك ماليزيا، كوريا الجنوبية، كندا، اليابان، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، أستراليا، الأردن، والإمارات العربية المتحدة... كما يجب أن نجند كل ذوي الاختصاص من الجامعات وكليات التربية في بلادنا من أجل القيام بدراسات تشخيصية للوضع الحالي للتعليم العام في مدارسنا... . إن ما يحدث اليوم من مؤتمرات ولقاءات تربوية وورش عمل تدريبية ما هي سوى رذاذ يرش على الأعين كي لا نرى أن ما يحدث لم يبن على قاعدة قوية من الدراسات والتخطيط... ما يحدث هو كمن قرر تنظيف مدينة بعد تعرضها لعاصفة هوجاء باستخدام فرشاة أسنان! ما أريد أن أوضحه هنا أن عملية الإصلاح جارية ولكن ببطء... نعم ببطء شديد نظرا لسرعة التغيرات العالمية في مجال التربية والتعليم... الوقت ليس في صالحنا إن كنا نريد أن نجهز أجيالا تدخل الأسواق العالمية بندية... محافظة على هويتها وأصالتها قابلة للتكيف مع أي تغير أو أي موقف يطرأ في مجال العمل. ولا ننسى هنا أن حكومتنا الرشيدة قدمت الدعم المادي غير المسبوق، فماذا فعلنا به؟.

يجب أن نعلم أن بناء المناهج من أجل التعليم العام ليس سهلا... إنها عملية تحتاج إلى مجهود فكري وجسدي ودعم مالي... تبدأ هذه العملية بالقيام بدراسات تشخيصية دقيقة تحدد التحديات والصعوبات التي تواجه التعليم العام... وأخرى تحدد متطلبات المهن والتخصصات المطلوبة في سوق العمل يضاف إليها القيم والمهارات والقدرات والمعلومات التي يحتاجها الطالب كي يستطيع أن يتابع تعليمه الجامعي... كما تخصص بحوث علمية لدراسة تاريخ تطبيق المناهج في المدارس للتعرف على أسباب نجاح أو فشل كل منها والمؤثرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية التي تسببت بذلك... . هذا بالإضافة إلى الدراسات الاستطلاعية التي تهتم بكل جديد وقديم في مجال نظريات بناء وتطبيقات المناهج والمدارس الفلسفية أو السيكولوجية التي بنيت عليها... وبعد تحديد التحديات والمتطلبات تبدأ مرحلة وضع المخطط الأمثل لمعالجة المشاكل وإدخال المتطلبات الحديثة بناء على نتائج وتوصيات الدراسات والأبحاث التمهيدية... وعليه يتم وضع الأسس البنائية التي تعمل كموجه للمراحل القادمة بحيث لا تتعارض هذه الأسس فيما بينها أو تشكل صعوبات في التطبيق... ثم يبدأ تشكيل لجان بناء المناهج للمواد المختلفة تقع تحت مظلة واحدة تقوم بالتأكد من ربط هذه المناهج من حيث التكامل والتدرج... والنقطة المهمة هنا هي إشراك ممثلين من الشريحة المستهدفة مثل الطلبة، المعلمين، مديري المدارس، منسقي المراحل أو المواد، أصحاب المهن أو الشركات أو الصناعات المحلية، مضاف لهم المختصون من مجالات المواد المختلفة، القياس والتقويم، علم النفس، المناهج، طرق التدريس،

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 16-04-2006 العـــدد : 2025
الصفحـات : 24 المسلسل : 197

التعلم الإلكتروني، هندسة الجرافيك، تقنيات التعليم، والإرشاد والتوجيه... تحدد المهام لكل مشارك في هذه اللجان ومن ثم تجمع الأعمال والتوصيات وتوضع أمام أخصائي بناء المناهج من أجل وضع المخططات التي تقدم على شكل أهداف عامة وخاصة وطرق التدريس والقياس والتقويم المقترح استخدامها... يقدم هذا المخطط فيما بعد إلى اللجان المسؤولة عن بناء المواد التعليمية المصاحبة... والقائمين على هندسة وبناء المدارس والمعامل التعليمية ومراكز مصادر التعلم... ثم تبدأ مرحلة التجريب والتقويم على نطاق ضيق إلى أن تقرر اللجنة الرئيسة أن المناهج أصبحت جاهزة للتعميم... كان هذا مجرد تلخيص مبسط لعمليات طويلة ومعقدة يجب أن تحدث قبل إجراء التعديلات والإصلاحات في التعليم العام... وعليكم الآن أن تقارنوا هذه الصورة بما يحدث داخل لجان تطوير وبناء المناهج الجارية الآن... أترك الإجابة لكم أو بالأحرى لمن يرغب منكم معرفة مستقبل التعليم لدينا... هذا إن كنتم تهتمون بالبحث والسؤال ليس من أجل المعرفة ولكن من أجل

الهدف الأساسي لكل هذه المجهودات هو تقديم طلاب وطالبات للمجتمع يتميزون بالشخصيات الصالحة المؤمنة القوية التي تعتمد على نفسها في تحقيق أهدافها من خلال التعلم المستمر وتطوير المهارات والقدرات...

التحرك... كيف؟ الأمر عائد إليكم... إنهم يخططون لمستقبل أبنائكم... أليس هذا بدافع كاف للتحرك والمطالبة بالتفسيرات والشفافية في تقديم التقارير المرحلية؟ نحن اليوم ولله الحمد مجتمع واع يوجد بينه العدد الكافي من المثقفين والمختصين الذين يستطيعون تقييم ما يقدم بموضوعية ومنهجية علمية.

الآن لندرس الوضع الحالي بقليل من التركيز... أليس من الواضح بأن ما يجري على الساحة من تغيرات وقرارات ارتجالية وأحداث تدل على انعدام وجود أي مخطط مبني على أبحاث أو دراسات حديثة؟ لنأخذ بالاعتبار الحالات التالية: استحداث المدارس الشاملة... إلغاء المدارس الشاملة... دمج إدارات تعليم البنين والبنات... فصل هذه الإدارات... حتى تقرير مادة اللغة الإنجليزية على الصف السادس باستخدام كتب وضعت على استعجال كما ظهر واضحا في عدم تلاؤمها مع أهداف المادة والمرحلة الدراسية، يعتبر قرارا ارتجاليا... والأمثلة كثيرة ما عليكم سوى متابعة الكتاب والصحفيين في الصحف المحلية لتتضح لديكم الصورة... وبهذا يتضح ما عنيته باستخدام فرشاة أسنان لتنظيف مدينة... فهل من المعقول أن يقوم مختص أو خبير باختيار مثل هذه الأداة لعمل مثل هذا!

لذلك تحرك من قرر بأنه لن ينتظر... بأنه سيقوم بالتغير الذي يريده لأبنائه...

المصـــــدر : الوطن السعودية
التـــاريخ : 16-04-2006 العـــدد : 2025
الصفحـات : 24 المسلسل : 197

لأبناء وطنه، نعم لحسن حظنا أنه يوجد بيننا من يؤمن برسالة التعليم وأهميتها... إنهم أصحاب فكر ورسالة... قابلوا الكثير من الصعوبات ولكن ذلك لم يثنهم عن تكملة المسيرة وتحقيق الهدف... شخصيات قيادية لديهم رؤية ترجموها إلى رسالة ومن ثم إلى أهداف عامة وخاصة استخدمت لبناء برامج ومناهج تعليمية... لم يفكروا بالتكاليف الباهظة أو حجم المجهود أو عبء مسؤولية تحمل تكرار الفشل قبل النجاح... . تابعوا مسيرتهم بهدوء وإرادة من حديد... مسيرة استغرقت عقدين من الزمن بالنسبة لبعضهم... وأخيرا وجدوا في وزارة التربية والتعليم من رأى أهمية وتأثير مناهجهم وبرامجهم التعليمية فقدم الدعم عن طريق الاعتراف بهذه البرامج:

حتى تتضح الصورة لديكم ما عليكم سوى مراجعة البرامج والمناهج التعليمية لتلك المدارس التي تعرض نتاج تجاربها لمن يريد دون قيود... حتى ملفات المصروفات والتكاليف تقدم لمن يرغب بدراستها بما أنها مدارس غير هادفة للربح فهي على استعداد دائم لتقديم الحسابات للأهالي قبل المسؤولين... لقد قامت هذه النوعية من المدارس بتأسيس رابطة تجمعهم من أجل تبادل الخبرات وتوزيع تكاليف البرامج التي هي تحت الدراسة فيما بينها وهي مدارس: الظهران الأهلية، دار الفكر، الملك فيصل، الرياض، الملك عبد العزيز... كل واحدة من هذه المدارس قدمت نتاج عملها للأعضاء الآخرين كما رفع للوزارة من أجل أن تعم الفائدة على بقية مدارس المملكة... لا يوجد مجال لأنانية هنا لأن هذه المدارس تعتبر نفسها مختبرا لبقية المدارس حيث تجرب وتطور أحدث وأفضل المناهج.. طرق التدريس... أساليب التقويم الحديثة... التعليم الإلكتروني... مراكز مصادر التعلم وتقنيات التعليم... مراكز الإرشاد الأكاديمي، والنفسي، والاجتماعي، والقياس والتقويم... خدمة المجتمع من خلال نظام تطوع التلاميذ لخدمة المؤسسات الاجتماعية الخيرية أو من خلال تقديم برامج التدريب التي تقدمها المدارس لأعضاء هيئة التعليم للمهتمين من الوزارة أو المؤسسات التعليمية الأخرى... الهدف الأساسي لكل هذه المجهودات هو تقديم طلاب وطالبات للمجتمع يتميزون بالشخصيات الصالحة المؤمنة القوية التي تعتمد على نفسها في تحقيق أهدافها من خلال التعلم المستمر وتطوير المهارات والقدرات للتلاؤم مع متغيرات أي بيئة عملية تتطلب ذلك... شخصيات لديها الرغبة والقدرة على المساهمة في تحمل المسؤولية في بناء الوطن وتمثيله في المحافل العلمية والثقافية والسياسية على أفضل صورة سواء كان ذلك باللغة العربية أو الإنجليزية... أليس هذا ترجمة لرؤية قائد البلاد، خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز... ؟ أليس هذا مطلب كل مواطن لأبنائه... ؟ إذا لماذا لا تكون هذه النوعية من المناهج والبرامج والبيئات التعليمية المصاحبة متاحة لكل طالب في هذه البلاد من عرعر إلى تبوك... من جازان إلى الخرج... من ابن الصياد إلى ابن المزارع... من ابن سائق الحافلة إلى ابن التاجر... من ابن الجندي إلى ابن رجل الأمن... من ابن المعلم إلى ابن الطبيب... من ابني إلى ابن كل مواطن يعمل ويتعب ويجاهد ويحلم بتأمين مستقبل أفضل لأبنائه.

* كاتبة سعودية
maydakhiel@alwatan.com.sa